



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : ANS - SAHAR
Date : 28.4.94
Photo No. : 155

درس في الصبر وآخر في السياسة

لقد تكاثرت، في الايام القليلة الماضية، الانباء التي من شأنها ان تستوقف الوعي العربي حيال الصراع مع اسرائيل، وهو المائم في مرحلة انتقالية منذ اشهر؛ اشارات اسرائيلية واضحة الى التناقض بين بقاء المستوطنات والسلام؛ عودة الحركة الى ملف الجولان مع حلول موعد زيارة وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر الى المنطقة؛ التقدم الحاصل في المفاوضات بين اسرائيل ومنظمة التحرير؛ تلميحات لحركة "حماس" تؤكد امكان اقرارها بمبدأ "الهدنة" مع العدو؛ الاتفاق بين "فتح" و"حماس" في غزة...

بيد ان اهم هذه الانباء على الاطلاق لم يأت من اسرائيل ولا من سوريا، ولا حتى من الشرق الاوسط او من الدولة العظمى. انما يأتي من جنوب افريقيا التي تشهد في هذه الساعات تحولا تاريخيا مع النهاية الرسمية للنظام العنصري المكرسة بإقامة اول انتخابات يشارك بها السود.

لقد كان دوماً الربط بين اسرائيل وجنوب افريقيا من الحجج المفضلة للدعاية العربية في الخارج، لاسيما في الامم المتحدة. لكن الربط لم يكن مجرد حجة دعائية، بل كان حقيقة لا يرقى اليها شك. من العلاقة التي قامت بين الجنرال سموتس وحاييم وايزمان، ابان الحرب العالمية الاولى، الى التعاون النووي بين الدولتين (الذي توج في ايلول ١٩٧٩ بتجربة نووية مشتركة) مروراً بالتشابه بين انظمة الحكم. هذا فضلا عن التعاضد الذي قام في المقابل بين المؤتمر الوطني الافريقي واطراف عرب كالجائر ومصر الناصرية ومنظمة التحرير الفلسطينية. ويذكر ان هذا التعاضد كان من العوامل التي جلبت التأييد الافريقي العام للموقف العربي، مما سمح في زمن غير بعيد بعدد من النجاحات الدبلوماسية الكبيرة كان في مقدمها الادانة الموسمية التي وجهتها على مر السنين الجمعية العمومية للامم المتحدة الى كل من اسرائيل وجنوب افريقيا.

اما وقد ثبت الارتباط في زمن النضال بين الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الوطنية السودا، في جنوب افريقيا، فمن المفترض ان يقوم بعض نقاط التشابه في التجربة السلمية لكل منهما. بالطبع يختلف اطار التسوية في الحالين. فبينما يأتي الحل في جنوب افريقيا داخل البلد الواحد (ما يوازي مشروع "فلسطين الديمقراطية" السابق) يقوم الحل في فلسطين على التمييز بين كيانين، وان تكن سيادة احدهما منقوصة. غير ان هذا الانتفاص يزيد من وجوه الشبه مع وضع جنوب افريقيا في السنوات الخمس الاخيرة، حيث كان "المؤتمر الوطني الافريقي" يمارس نوعاً من الحكم الذاتي في ظل وجود كثيف للجيش الابيض.

وقد يكون طول المدة التي تتطلبها في الحالين مسيرة التسوية هو وجه الشبه الاكبر. بل ربما كان في ذلك الدرس الابرز لتجربة جنوب افريقيا. فعلى رغم ان فريدريك دو كليرك بدا منذ بداية تحوله أكثر ايمانا من اسحق رابين بحتمية التنازل، وان نيلسون مانديلا أكثر قوة من ياسر عرفات، إن على المستوى الدولي او في صفوف شعبه، فقد استحالت ترجمة الاتفاق بين الرجلين بسرعة. وكان لزاماً عليهما بذل جهد كبير في اقناع قاعدتيهما بجدوى الاتفاق قبل ان يستطيعا الوصول الى تكريس التحول. وفي المقابل، لم تخل هذه السنوات الخمس من التناقضات بين طرفي الصراع في جنوب افريقيا، بل عزتها تناقضات ثانوية عبر طرف ثالث هو "اينكاثا". وهكذا، جاءت اللحظة التاريخية هذا الاسبوع نتاجاً ليس فقط لنضال طويل، وانما ايضا لتسويات وتنازلات واختبارات قوى متلاحقة. حتى ان بعض هذه الصعوبات مرشح للاستمرار بعد تبدل النظام.

فائدة هذا التذكير التاريخي انه ليس درسا في الصبر فحسب، وانما هو درس في السياسة أيضاً.

سمير قصير